قواعد نبوية

في الدعوة إلى الله

عبدالله بن عبده نعمان العواضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قواعد نبوية في الدعوة إلى الله تعالى

د. عبد الله العواضي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى على هدى وبصيرة ميراث النبوة، لا يقوم بها إلا خيرة الأمة وشامتها، الذين سمت أنفسهم ليكونوا ورثة الرسل في وظيفتهم، والقائمين في العباد بتبليغ دعوتهم.

وهذه الوظيفة المنيفة فضلها كبير وشرفها خطير، قال الله تعالى: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) [فصلت:٣٣].

عن الحسن البصري رحمه الله: أنه تلا هذه الآية: فقال: "هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفة الله"(١).

ولا ريب أن الناس اليوم بحاجة إلى الدعوة إلى الله أكثر من أي زمن مضى؛ لكثرة الفساد والمفسدين، وقلة الصلاح والمصلحين، وسرعة سريان الشر إلى النفوس بفعل سرعة وسائل الإعلام والتواصل.

ولكن بحمد الله فإن مجالات الدعوة اليوم متسعة يستطيعها الإنسان في كل الأحوال: يدعو أباه وأمه وإخوته وأخواته، وزوجته وأولاده، ومن اتصل به من أقاربه وجيرانه وزملائه وخلانه.

يدعو دعوة فردية أو جماعية (خطبة، درس، محاضرة، خاطرة، كلمة)، يدعو بمنشور أو رسالة أو تذكير بخير، أو بمقطع صوتي أو مرئي، أو غير ذلك.

ولما كانت الدعوة إلى الله لها فضل عظيم، وأثر في النفس والناس كبير احتاج الدعاة إلى معالم منيرة

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٠).

في هذا الطريق الشريف، تنير دربهم، وتشحذ هممهم، وتثبتهم على هذا السبيل رغم كل الزعازع.

وقد اخترت أن يكون هذا الموضـــوع في قواعد دعوية من نصـــوص قولية نبوية؛ لما لها من أثر في التوجيه وقوة الدلالة.

وقد صـــغت القاعدة وذيلتها بدليلها الحديثي، وتكلمت عن مضـــمونها بكلام يســـير يعين على الاسترشاد بها والعمل بمقتضاها في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

وها هي على النحو الآتي:

القاعدة الأولى: " الأمور بمقاصدها".

دليلها: عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِـــيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ يقول: سَمِعْتُ رَسُـــولَ اللَّهِ صَـــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)[1].

قال الخطابي رحمه الله: " وقوله: (إنما الأعمال بالنيات) لم يرد به أعيان الأعمال؛ لأنها حاصلة حسًا وعيانًا بغير نية، وإنما معناه: أن صـــحة أحكام الأعمال في حق الدين إنما تقع بالنية، وأن النيات هي الفاصـــلة بين ما يصـــح منها وبين ما لا يصـــح، وكلمة (إنما) عاملة بركنيها إيجابًا ونفيًا، فهي تثبت الشـــيء وتنفي ما عداه، فدلالتها أن العبادة إذا صـــحبتها النية صـــحت، وإذا لم تصـــحبها لم تصح، ومقتضى حق العموم منها يوجب أن لا يصح عمل من الأعمال الدينية أقوالها وأفعالها إلا بنية"[2].

إن الدعوة إلى الحق عمل من الأعمال الصـالحة التي تحتاج إلى نية خالصـة وحسـن قصـد وصـدق توجه، وهذا إذا تحقق كان سبيل القَبول والتوفيق فيها، وإذا تخلف حضر الخذلان والتعثر، قال ابن

---

(١) متفق عليه.

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١/ ١١٢).

الجوزي: " وإنما يتعثر من لم يخلص"[1].

فيا أيها الداعي: اجعل توجهك للدعوة ابتغاء وجه الله، لا لرغبة في النفس، أو لطلب مصـــلحة دنيوية، أو وظيفية تؤديها لعائد مالي، أو طاعة لآمر.

ويعينك على هذا:

أ-الدعاء بإخلاص النية.

ب- التطلع إلى ما عند الله لا إلى ما عند الناس.

ج- قراءة سير الدعاة المخلصين.

فإذا عبدت طريق دعوتك بإخلاص نيتك أثمر لك ذلك:

أ-الثواب الوفير.

ب-التوفيق الكبير.

ج-حصول الأثر الدعوي الكثير.

القاعدة الثانية: "بلغوا عني ولو آية".

دليلها: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رضي الله عنهما-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)[2].

قال الكوراني رحمه الله: " قيل: أراد آية من آيات القرآن، وإذا وجب تبليغ الآية مع كون القرآن محفوظًا بحفظ الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فتبليغ الحديث من باب الأولى، والأحســـن أن يحمل على أعم منه؛ فإن الآية لغة: العلامة، أي: بلّغوا وإن كان علامة، أو

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٣٦٧).

(٢) رواه البخاري.

إشارة صادرة عني، وفيه مبالغة وحثٌّ على نقل الحديث، ويؤيده سائر النصوص، كقوله: (رحم الله امرءًا وعى مقالتي وأداها كما وعاها)"[1].

فالدعوة إلى الله: بنصيحة أو تعليم أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر كل ذلك من التبليغ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قال بعضهم: (بلغوا): هذا تكليف.

وقوله: (عني): تشريف.

وقوله: (ولو آية): تخفيف.

فالبلاغ عن رسول الله قيام بطاعته، والقائم بذلك نائب عنه، وهذا البلاغ حسب المقدور عليه.

القاعدة الثالثة: "سيرة الداعية تعين على نجاحه".

دليلها: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: (يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ – لِبُطُونِ قُرَيْشٍ – حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: (أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟) قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا)[2].

وفي رواية مسلم: (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا).

قال الطيبي رحمه الله: "أي: ما ألقينا عليك شيئًا من الأخبار مجربين إياك إلا وجدناك فيه صادقًا"[3].

---

(١) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٦/ ٣٢٧).

(٢) متفق عليه.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن (١٢/ ٣٧٢٥).

وقَالَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنه-لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غار حراء أول ما بدأ الوحي، وقال: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) فقالت-: "كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"(١).

قال القاري رحمه الله: " أرادت أنك ممن لا يصيبه مكروه؛ لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشمائل، وفيه دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء"(٢).

من خلال هذين النصين نستشف كون سيرة الداعي قبل دعوته لها أثر في تصديقه وتوفيقه، فنبينا عليه الصلاة والسلام زينه الله قبل البعثة بخلال حسنة وشمائل عذبة كان لها أثرها الطيب في تصديق مَن صدقه، بل إن بعض من شاقه لم يكن ذلك منه إلا حسدًا أو كبرًا أو تقليدًا، أو خوفًا على مكانته، وأما هو في قرارة نفسه فإنه لا يشك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حتى قال النضر بن الحارث لقريش: "قد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا؛ أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر!!، لا والله ما هو بساحر"(٣).

فأنت أيها الداعي: قبل أن تدعو الناس أحسن علاقتك بالله، وأحسن معاملة الناس، ووطن لك موضع حمد في القلوب، وصيتٍ حسنٍ في الأسماع؛ فسيرتك الحسنة هي القاعدة الراسخة التي تستطيع بها بناء التأثير في المدعوين.

وهي المنطلق الآمن والمصباح المنير الذي يضيء لك الطريق إلى نفوس الناس.

أما ذو السيرة السيئة إذا توجه إلى دعوة الناس فإنه يواجه بالصد؛ فهو وإن قال: اتقوا الله وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا؛ فإن سمعته غير الحميدة عندهم تقول: لا تصدقوه؛ فإنه إلى أمس كان على كذا وكذا، يعني من السوء.

---

(١) متفق عليه.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٧٣٣).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٣٥).

القاعدة الرابعة: " معرفة واقع المدعوين من مهمات الداعين".

دليلها: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ))[1].

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: " لعله للتوطئة والتمهيد للوصية باستجماع همته في الدعاء لهم؛ فإن أهل الكتاب أهل علم، ومخاطبتهم لا تكون كمخاطبة جهال المشركين، وعبدة الأوثان في العناية بها"[2].

ففي هذا الحديث الذي يوصي فيه النبي عليه الصلاة والسلام داعيه معاذًا بوصايا دعوية جامعة؛ يبين له أن البيئة الدعوية بيئة أهل كتاب تحتاج أن يعرفها معاذ رضي الله عنه ليستعد لها؛ ليعرف كيف يدعو أهلها.

وهذا يفيد الداعي أهمية معرفة واقعه الدعوي، فليس كل أسلوب يناسب كل واقع وأهله.

فمن المهم أن يعرف الداعي واقع جهته الدعوية:

فيدري الواقع المكاني، والواقع الزماني، والواقع الثقافي، والواقع المالي (فقراء، أغنياء)، والواقع الديني (مسلمون، وثنيون، أهل كتاب)، والواقع المذهبي بشقيه: العقدي-والفقهي.

حتى يستعد استعدادًا علميًا وفكريًا، ونفسيًا وأسلوبيًا.

---

(١) متفق عليه.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ٣٧٥).

القاعدة الخامسة: " يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا واتفقوا ولا تختلفوا".

دليلها: عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ (أبي موسى الأشعري)، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: (يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا)(١).

قال القاضي عياض رحمه الله: " فيه ما يجب الاقتداء به من التيسير في الأمور، والرفق بالنَّاس، وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة والتنفير لقلوبهم، لا سيما فيمن كان قريب العهد به"(٢).

وقال النووي رحمه الله: " وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم"(٣).

هذه القاعدة النبوية تهدي إلى دستور الدعوة الهادي إلى حسن عرض الدعوة على الناس من غير غلو ولا تعسير ولا تنفير ولا خلاف بين الداعين.

فالدعوة الناجحة تقوم على التيسير في التعليم والتكاليف وقبول ما تيسر من التزام الناس وانقيادهم.

وتقوم على التبشير للكافر والعاصي بالغفران والحياة السعيدة في ظل الإسلام والتوبة وحسن العوض لمن فقد شيئًا بإسلامه وتوبته.

وبالمقابل هي تقوم على البعد عن تعسير طريق التوبة، وعن تنفير الناس بالوعيد الشديد الذي لا تفتح معه نوافذ للأمل؛ لأن بعض العصاة إذا هاله الوعيد قد يستصغر التوبة أمام عظم ذنوبه وكثرتها.

كما أن القاعدة ترشد إلى التطاوع والتوافق بين الدعاة إذا كانوا في مكان دعوي واحد، وتسد عنهم باب الخلاف والتنافر والشقاق المفضي إلى ترك الدعوة وصد الناس عن قبولها، فكم من خلاف جرى بين الدعاة أضر الدعوة كثيرًا، ومنع ناسًا من اتباعها، حتى يقول بعضهم: لو كانوا على الحق لما اختلفوا وتصارعوا!.

---

(١) متفق عليه.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ٣٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٤١).

القاعدة السادسة: " التدرج في الدعوة نجاح لها".

دليلها: حديث ابن عباس السابق، وفيه: (... فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ...الخ).

قال ابن الملقن رحمه الله: " ومعنى حديث معاذ في ترتيب ما يدعوهم إليه أنهم إن جحدوا واحدة من ذلك لم يكونوا مؤمنين، ولم يبين إن امتنعوا ما يكون حكمهم"[1].

إن التدرج قاعدة حياتية في شؤون كثيرة في الخلق والتربية والتعليم والمداواة وغير ذلك، وقد جاءت شريعة الله في عدد من الأحكام متدرجة. ومن ذلك الدعوة؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام أرشد معاذًا رضي الله عنه إلى أول ما يبدأ به في دعوة الناس وهو التوحيد، ثم رتب له بعد ذلك الأحكام واحدًا تلو الآخر.

والغاية من التدرج الدعوي: حتى تقبل النفوس الدعوة وتحدث الأثر الحسن فيها.

والدعوة إلى الله تحتاج إلى التدرج من الداعي في أشياء عديدة، منها:

أ-التدرج في الموضوعات التي تطرح على المدعوين.

فالأصول قبل الفروع، وما فشا فيهم قبل ما ندر، وما كثر قبل ما قل، وما عظم خطره قبل ما قل، وما كثر المؤيدون للداعي في إنكاره على ما كثر معارضوه فيه.

ب-التدرج في أساليب خطاب المدعوين: الترغيب ثم الترهيب، التلميح، ثم التصريح.

ج-التدرج في علاج الأخطاء في بيئة المدعوين.

ومن الآثار الحسنة للتدرج الدعوي:

أ-ترك مواجهة الداعي وصده في أول دعوته.

ب-القدرة على الإقناع.

ج- قبول الدعوة.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ٢٢٠).

القاعدة السابعة: " إنما الدعوة بالأناة والتؤدة".

دليلها: عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لعلي رضي الله عنه: (انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ) قال ذلك-عليه الصلاة والسلام- بعد أن قال علي رضي الله عنه: " يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟"[1].

قال الكرماني رحمه الله: " (انفذ على رِسْلك)؛ أي: امْضِ على رِفقك ولينك، والرِّسل - بكسر الراء - السير اللين والهينة"[2].

إن الدعوة إلى الله تطلب الهدوء والرفق، ولا تريد العجلة والعنف؛ فالنفوس البشرية لا تقبل الحق بسرعة، كما لا توافق عليه إذا وصل إليها على مركب العنف.

وتكون الأناة في:

أ-عرض الدعوة.

ب-معالجة أخطاء البيئة.

ج- معاملة المدعوين.

د- محاججة المجادلين والتعامل مع المعادين.

هـ-انتظار النتائج الحسنة للدعوة.

ومن آثار العمل بهذه القاعدة:

أ- تقليل خصوم الدعوة.

ب- الإعانة على قبولها، ولو بعد حين.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)[3].

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح المصابيح لابن الملك (٦/ ٤٣٨).

(٣) رواه مسلم.

القاعدة الثامنة: " الثناء على المدعوين مطلب دعوي مؤثر".

دليلها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، قَالَ: مَا هُمَا؟ قَالَ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ. وفي رواية: الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا؟، أَمْ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟، قَالَ: بَلْ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا, فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا)(١).

قال النووي رحمه الله: "وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك له: ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرّبه النبي صلى الله عليه وسلم وأجلسه إلى جانبه"(٢).

إن الثناء بالحق على المدعو أسلوب له شأن في النفوس؛ فهو يُقبل بها ويحبّب الداعي والدعوة إليها، ويعطيها تعزيزًا يمضي بها إلى اعتناق الدعوة والتمسك بها والدفاع عنها.

أما الداعي الذي لا يعرف أسلوب الثناء، ولا إنزال الناس منازلهم، أو قد يدنو في دعوته إلى

جلد المدعوين بخطاب الشتائم والنقد الحاد والطعن في بعضهم، ويسيء استقبال قلوبهم؛ فهو داع يُبعد ولا يقرّب، وينفّر ولا يبشر، ويشتت ولا يجمع.

أين هذا من قول النبي عليه الصلاة والسلام الذي علّق أوسمة ثناء على بعض أصحابه فقال: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي بن أبي طالب وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن

---

(١) رواه مسلم وابن حبان وأحمد وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد.

(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ١٨٩).

ثابت، ألا وإن لكل أمة أمينًا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[١].

القاعدة التاسعة: " الصبر على مشاق الطريق وترك اللهث في استعجال الفَرَج".

دليلها: عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[٢].

قال الكرماني رحمه الله: " (ولكنكم تستعجلون) فيه تحريض على الصبر على الأذى، والتحمُّل على المشاق، وعدم الاستعجال في الأمور"[٣].

ليست الدعوة إلى الله أمرًا يتقبله المجتمع المنحرف بشوق، ويستقبله بحفاوة، بل هي أمر مرفوض في تلك البيئة؛ لأنها طارئ ينغص شهواتهم، ويقطع حبل لذاتهم، ويكدر صفو سكرتهم.

وأما الداعي فقد يسام هناك بمضايقات قد تنتهي سلسلتها ببعض الدعاة إلى الموت.

والداعي في خضم بلاء الدعوة وشدة التضييق عليه وعليها قد يستشرف الفرج ويطلب سرعته، وربما كان ذلك قبل مضي سنة الله في التقدير الزمني لذلك البلاء الذي قد يطول لحكم يريدها الله تعالى.

قال تعالى: ((حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) شرح المصابيح لابن الملك (٦/ ٢٦٩).

بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)) [يوسف:١١٠].

قالت عائشة رضي الله عنها: " هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك"(١).

وقال تعالى: ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) [البقرة:٢١٤].

إذًا لابد للداعي من صبر يملأ صدره اطمئنانًا، وقلبه رضا، ونفسه تفويضًا تامًا إلى خالقها في انتهاء زمن البلاء، وإتيان زمان الرخاء.

فمن كان كذلك من الدعاة جنى من الثمرات:

١-تهوين البلاء عليه.

ب-الصبر على قساوة الشدة.

ج-الثبات على طريق الدعوة.

د-البعد عن الاعتراضِ على القدر وكراهيةِ طريق الحق.

القاعدة العاشرة: " التسلي بما جرى للدعاة السابقين يهوّن آلام الدعوة".

دليلها: عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ

(١)رواه البخاري.

الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: (يَرْحَمُ اللَّهَ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)[1].

قال ابن بطال رحمه الله: " من الفقه أن أهل الفضل والخير قد يعزّ عليهم ما يقال فيهم من الباطل، ويكبر عليهم، فإن ذلك جبلة في البشـــر، فطردهم الله عليها، إلا أن أهل الفضـــل يتلقون ذلك بالصـــبر الجميل؛ اقتداء بمن تقدمهم من المؤمنين؛ ألا ترى أن الرســـول قد اقتدى في ذلك بصـــبر موسى "[2].

إن طريق الدعوة إلى الحق واحد في مواجهته، وإن اختلف الزمان والمكان وقدر المواجهة وكيفيتها، ولذلك يجد الداعي اليوم نماذج كثيرة قد ساروا على هذا الطريق الشاق ولقوا فيه من البلاء ما لقوا، ولكن العاقبة كانت لهم.

فهو إن مر بشدة في سبيله فليتسل حينئذ بأمثاله من الدعاة، فذلك يخفف عنه.

وهذا أسـلوب قرآني يخاطب الله تعالى به نبيه عليه الصـلاة والسـلام في مواضـع عديدة من القرآن، خصوصًا في العهد المكي.

قال تعالى: ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ)) [الأحقاف:٣٥].

وقال: ((وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُـلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَـبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْـرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ)) [الأنعام:٣٤].

واستحضار هذه القاعدة لدى الداعي:

أ- يبقي أجر الداعي، فلا يستفزه الموقف حتى يمنّ بدعوته فيفسد عمله.

ب- يعينه على الاستمرار وترك الانقطاع.

ج- يدعوه إلى العفو عن المدعو المسيء، ولذلك عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشاك في عدله، وعن أمثاله من المسيئين إليه.

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٥٢).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ القَائِلَةُ، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: (إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، مُخْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا) قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

القاعدة الحادية عشرة: " أُدعُ لهم ولا تدعُ عليهم".

دليلها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ دَوْسًا قَدْ هَلَكَتْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ)[2].

قال ابن هبيرة رحمه الله: "في هذا الحديث ما يدل على رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته؛ فإنه كان صلى الله عليه وسلم يُقبل على الآتي إليه، ويدعو للمدبر عنه؛ ألا تراه حين قال له الطفيل: ادع الله على دوس فقال: (اهد دوسًا وأت بهم). وفي هذا الحديث من الفقه: أن فرصة الخير تُنتهز عند اشتداد ضدها، دعا هذا المحرض على القوم عند يائسة منهم، فانتهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصة الخير، ودعا لدوس بالهداية، فكان ذلك أليق بسجاياه الكريمة، وأدعى إلى فلاحهم، فعلى هذا أحب لكل من اشتد غضبه على إنسان، أو أُغري به، أن ينتهز الفرصة في ذلك الوقت فيدعو للمغضوب عليه، والشخص الذي قد أغري به ما بلغ ما يمكنه من الخير، كاسرًا صولة طبعه الذي أعان تهييجها، ما كان من مغيظة أو إغراء قائل.

فيطلع الله عز وجل حينئذ على قصده في ذلك الوقت، فيستجيب دعاءه ويغفر به كل ذنب عمله إن شاء الله؛ لأنه جل جلاله... إذا رأى من عبده هذه الخلة الحسنة عند اشتداد غيظه، والتهاب

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

طبعه، كان سمته بالعفو والجود؛ أجودَ وأعود"[١].

والعمل بهذه القاعدة شديد على كثير من النفوس؛ لمخالفتها هواها، وانتصارها لغضبها، وإنما يقوم بها من غلب حلمه طيشه، ورحمته غضبه، وعفوه انتقامه، وإيثاره مصلحة الدعوة على مصلحة شخصه.

وقد كان من ثمرة دعوة رسول الله وحلمه، واستمرار الطفيل في دعوته برجوعه إلى قومه وصبره عليهم؛ أن وفد الطفيل على النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر بثمانين بيتًا من دوس قد أسلموا[٢].

القاعدة الثانية عشرة: " لا يأسَ من الإجابة حتى الموت".

دليلها: عن سعيد بن المسَيّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)[٣].

قال الشيخ التميمي رحمه الله في فوائد هذا الحديث وفيه: " جِدُّه صلي الله عليه وسلم ومبالغتُه في إسلام عمه"[٤].

قد يعرض داعي الحق دعوته على فرد أو جماعة فلا يستجاب له، فمن الدعاة من يكتفي ولا يكرر الدعوة ويأس من الإجابة، ومن الدعاة الموفقين من يستمر ويكرر ويغير الأساليب ويستغل المواقف حتى ينال بغيته؛ اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كنبينا محمد عليه الصلاة والسلام في هذا المثال، ونبي الله نوح عليه السلام الذي قال الله عنه: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ٢٣٦).
(٢) ينظر: الفصول في السيرة (ص: ١٠٦).
(٣) رواه البخاري.
(٤) فتح المجيد (ص: ٢١٧).

وَأَصَـرُّوا وَاسْـتَكْبَرُوا اسْـتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْـرَرْتُ لَهُمْ إِسْـرَارًا)) [نوح:٥-٩].

وهذا الجَلد في اسـتمرار دعوة المدعو ثقيل على المرء ولا تنوء به إلا النفوس السـامية المجاهدة، غير أن ذلك قد يوصل إلى النتيجة المرجوة، كما قال الشاعر:

- أُطلُبْ وَلَا تَضْجَرَ مِنْ مَطلَبٍ... فآفَةُ الطَّالِبِ أنْ يَضْجَرَا

أَمَا تَرَى الحبلَ بتكرَارِه... في الصَّخْرَة الصَّمَّاءِ قَدْ أثّرا[1].

وقول الآخر:

أَخْلِقْ بِذِي الصَبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

إِنَّ الأُمُوْرَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا... فَالصَّبْرُ يفتح مِنْهَا كُلّ مَا ارْتَتَجَا

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

لا يَمنعَنَّك مِن يَأسٍ مطالبةٌ... فضيّقُ السُّبْلِ يومًا ربما انتهجا[2].

وأذكر وأنا صغير أني سمعت أن شيخًا ظل يراسل أحد مدعويه يدعوه إلى الهداية بعشرات الرسائل حتى استجاب له بعد الرسالة المائة.

وهذا صبر عظيم.

القاعدة الثالثة عشرة: " لا تكن شمعة".

دليلها: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلِي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

---

(١) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (٣/ ١١٧٣).

(٢) البيان والتبيين (٢/ ٢٤٣).

(مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ، كَمَثَلِ السِّرَاجِ، يُضِيءُ لِلنَّاسِ، وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ)[1].

قال ابن الأمير الصنعاني رحمه الله: "بيّن وجه الشبه بقوله: (يضيء للناس): في الدنيا وفي الآخرة ينتفعون بما أفادهم. (ويحرق نفسه) في الآخرة بنار مخالفته، بل أثره في الدنيا؛ فشؤم المخالفة في الدارين لاحق لصاحبه بصلاح غيره في هلاكه؛ ولذا يقال: العلماء ثلاثة: منقذ لنفسه وغيره من الوبال وهو الراغب إلى الله عن الدنيا ظاهرًا وباطنًا، ومهلك نفسه وغيره وهو الداعي إلى الدنيا فهذا يحرق نفسه وغيره، ومهلك نفسه منقذ غيره وهو من دعا إلى الله ورفض الدنيا ظاهرًا ولم يعمل بعلمه وهو الذي أراده – صلى الله عليه وسلم –؛ إذ الثاني ليس معلمًا للخير والأول لا يحتاج إلى ضرب المثل. وفي هؤلاء قال عيسى عليه السلام: "يا علماء السوء، جعلتم الدنيا على رؤوسكم، والآخرة تحت أقدامكم!، قولكم شفاء، وعملكم داء""[2].

أيها الداعي: لا تنر قلوب الناس وقلبك مظلم، ولا تنشر الأضواء في سبل الخلق وسبيلك إلى الله غير مضيء، ولا تطفئ ظمأ الناس بنمير الحق وتحرم نفسك منه في أوار عطشك، ولا تداو المرضى وتغفل عن مرضك.

ولا تحث الناس على الخير وأنت معرض عنه، ولا تنههم عن الشر وأنت منهمك فيه، فمن فعل ما نهي عنه فلا عقل له.

فقد ذم الله أحبار أهل الكتاب فقال: ((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ)) [البقرة:٤٤].

وقال الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمّة... قربُ الحبيب وما إليه وصولُ

كالعيس في البيداء يقتلها الظما... والماء فوق ظهورها محمول[3].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وهو صحيح.
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٥٢٣).
(٣) حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٢٣٢).

وقال أبو الأسود الدؤلي:

يا أيها الرجلُ المعلِّمُ غيرَهُ... هلاّ لِنفسِكَ كان ذا التعلِيمُ

تَصِفُ الدواء لذي السّقَامِ وذي الضنى... كيما يصحّ به وأنتَ سقيمُ

وأراكَ تُصلِحُ بالرشادِ عقولَنا... أبدًا وأنت من الرشادِ عقيمُ

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مِثلَهُ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

فابدأ بِنفسكَ فانْهَهَا عن غيّهَا... فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حَكِيمُ

فهناك يُقبلُ ما تقُول ويقتدى... بالعلم منكَ وينفعُ التعليمُ[1].

وتذكروا –أيها الدعاة–أن نفوسكم أولى بالنجاة من نفوس غيركم، فابدأوا بها قبل غيرها، واعملوا ثم ادعوا، وتذكروا حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ)[2].

ولا يصرفنكم عن العمل والخوف من الله على النفس رؤيةُ أثركم في الناس؛ فإن ذلك أدعى لأن تتوفروا على كثرة العمل وملازمة الخشية، فهذا ابن الجوزي العالم العامل يقول: "ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل".

ثم يقول: "وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي. ولقد جلست يومًا، فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسي: كيف بك إن نجوا وهلكت؟! فصحت بلسان وجدي:

---

(١) المستقصى في أمثال العرب (٢/ ٢٦٠).

(٢) متفق عليه.

إلهي وسيدي: إن قضيت علي بالعذاب غدًا، فلا تعلمهم بعذابي؛ صيانة لكرمك، لا لأجلي، لئلا يقولوا: عذّب من دل عليه.

إلهي: قد قيل لنبيك صلى الله عليه وسلم: اقتل ابن أُبَيٍّ المنافق! فقال: (لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه).

إلهي: فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تعلمهم بعذاب الدليل عليك. حاشاك والله يا رب من تكدير الصافي"[1].

القاعدة الرابعة عشرة: " الدال على الخير كفاعله".

دليلها: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يَسْتَحْمِلُهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُهُ فَدَلَّهُ عَلَى آخَرَ فَحَمَلَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: (إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ)[2].

ويوضحه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا)[3].

قال ابن الأمير الصنعاني رحمه الله: " (إن الدال على الخير كفاعله) في الأجر والدلالة على الخير بالفعل؛ كأن يفعل فعلًا صالحًا يقتدى به فيه فيكون نظير من سن سنة حسنة بالقول كتعليم الخير، ويكون بالإشارة وهو بهذا أعم من حديث: (من سن سنة حسنة)، ويحتمل أنه مثله عام، وفيه دليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلائق أجرًا؛ لأنه الدال على كل سنة حسنة فله مثل أجور جميع أمته"[4].

وقال الطيبي رحمه الله: " (هدى) وهو إما الدلالة الموصلة إلى البغية، أو مطلق الإرشاد، وهو في

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٤٩).
(٢) رواه الترمذي وأحمد، وهو صحيح.
(٣) رواه مسلم.
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ٤٣٨).

الحديث ما يهتدى به من الأعمال الصالحة، وهو بحسب التنكير مطلق شائع في جنس ما يقال له: هدى، يطلق على القليل والكثير، والعظيم والحقير، فأعظمه هدى من دعا إلى الله، وعمل صالحًا، وقال: إنني من المسلمين، وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المؤمنين، ومن ثم عظم شأن الفقيه الداعي المنذر، حتى فضل واحد منهم على ألف عابد؛ لأن نفعه يعم الأشخاص والأعصار إلى يوم الدين " ثم قال: " ونرجو من رحمة الله وكرمه أن يكون سعينا في هذا الكتاب منتظمًا في هذا السلك، ويرحم الله عبدًا قال: آمينا"(١).

وقال العظيم آبادي رحمه الله: " إنما استحق الداعي إلى الهدى ذلك الأجر لكون الدعاء إلى الهدى خصلة من خصال الأنبياء"(٢).

فأنت –أيها الداعي– على طريق يورثك الأجور الكثيرة التي قد لا تنقطع، فكم لك من أجر إذا اهتدى بدعوتك مهتد أو مهتدون: من الكفر إلى الإسلام أو من البدعة إلى السنة أو من المعصية إلى الطاعة، ثم اهتدى بهؤلاء المهتدين آخرون!

إذا لم تستطع التأثير العام فادع أقرب الناس إليك: أسرتك.

القاعدة الخامسة عشرة: " النظر إلى ثواب الدعوة عند الله يعين عليها".

دليلها: عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: (انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)(٣).

قال النووي رحمه الله: " (حمر النعم) هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه. وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٦٢٦).

(٢) عون المعبود (١٢/ ٢٣٦).

(٣) متفق عليه.

هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأســـرها وأمثالها معها لو تصورت، وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة"[1].

وهذا يبين فائدتين:

أ-أن الدعوة إلى الله خير من المال.

ب-أن دعوة رجل وهدايته بذلك خير من أن يحصل المرء على مال يتملكه أو يتصدق به.

ومن نظر إلى ثواب الدعوة ورفعة صاحبها عند الله وصدق بذلك:

أ-شمر لها واستمر عليها.

ب-صبر على مشاقها.

ج-حرص على هداية الناس وعلى تنويع أساليب التأثير على المدعوين.

فمن أراد الثواب الجزيل الذي قد يبقى بعد الموت فليضم نفسه في سلك الدعوة إلى الله تعالى.

جعلنا الله وإياكم من الدعاة المخلصين، الموفقين العاملين.

١٤٤٣/٨/٣٢هـ، ٢٠٢٢/٣/٢٦م.

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٧٨).